للامة بقدر امامهم وسمو علمهم عند الله تعالى وعلو منزلته لو به لتعرف نعمة
الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهوده
من عين المنة ومحض الوجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة
وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشا له ذلك في قلبه سحايب السرور فاذا
انبسطت هذه السحايب في سما قلبه وامتلا افقه بها امطرت عليه وابل
الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجري
على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره م
والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير
قول العارف الرباني سيدي على الوفي في قصيدته التي اولها من انت مولاه
حاشاه علاه ان يتلاشى والله يا روح قلبي لامات من لك عاشا قوم لهم انت ساق
لا يرحون عطاشا لا فض دهرجنا خالد وفاك راشا كل النعيم معيم لمن وهبت
انتعاشا ومن بحولك يقوى لم يضعف الدهر حاشا عبد له بك عز
فكيف لا يتحاشا حاشا وفاك برمي من انت مولاه حاشا فان قلت
فما الجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث
الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين ورجل
من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين
فرفع المسلم يده فلطم اليهودي وقال اي خبيث وعلى محمد فجا اليهودي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا وحديث ابي سعيد الخدري عند
البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا وحديث ابن عباس
عند البخاري ومسلم مرفوعا ما ينبغي للعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى
فقد كذب اجاب العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم يعني في الايمان
بما انزل اليهم والنص يقتضي والايمان بانهم رسل الله وانبياوه والتسوية
بينهم في هذا لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث
باجوبة فقال بعضهم ان يعتقد ان الله فضل بعضهم على بعض على الجملة
ولا تكليف عن الخوض في تفصيل التفضيل بالراي فانه صحيح وان اراد انا لا نذكر
في ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى وروي لنا من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال احمد تفضل من رفع الله درجته بخصايص الحظوة

وحديث ابي هريره عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس ابن متى

قال ابن طاهر فان اراد القايل ان نكفوا الخوض في تفضيل مفضل ... فصحيح

نسيقي

والزلفي

والزلفي ولا الخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين والصبر
على الدين والنهضة في ادا الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم قد
بذل في ذلك جهده وسعه الذي لا يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال اخر ما ذكره
القاضي عياض ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد
ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر معرفة المتقدم
تاريخا من ذلك ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان وجه النظر ان هذا من رواية ابي
سعيد وابي هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام حنين متاخرا فيبعد انه لم يعلمه
بها الا بعد هذا وقال اخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي
التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من اعتراض وقيل لا تفضلوا
بينهم تفضيلا يودي الى تنقيص بعضهم او البعض منه وقيل منع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيها على حد واحد
لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامر اخر زايدة عليها
ولذلك منهم رسل واولوا عزم انتهى وهذا قريب من قول الباني وقال ابن
ابي جمرة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن
خطيب الري لانه قد وجدت المفضلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله
عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر
وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيامة وقال عليه السلام ادم ومن
دونه تحت لوائي وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن
لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلا يبقى ان
يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى
القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسري
به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به
لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد
واحد انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام
الحرمين وقال ابن المنير ان قلت ان يفضل على يونس باعتبار الجهتين بالنسبة
الى الوجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق
فانه تعالى فضل الملا الاعلى على الحضيض الادنا فكيف عليه السلام على يونس
فان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه على
مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب للكاين

Copyright ... University